

تفسير ابن كثير

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : " أي عم ، قل : لا إله إلا الله . كلمة أحاج لك بها عند الله ، عز وجل " . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ [قال : فلم يزالا يكلماناه ، حتى قال آخر شيء كلمهم به : على ملة عبد المطلب] . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لأستغفرن لك ما لم أنه عنك " . فنزلت : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) قال : ونزلت فيه : (إنك لا تهدي من أحببت) [القصص : 56] أخرجاه . وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الخليل ، عن علي ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رجلا يستغفر لأبويه ، وهما

مشركان ، فقلت : أيستغفر الرجل لأبويه وهما مشركان ؟ فقال : أولم يستغفر إبراهيم لأبيه ؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) إلى قوله : (فلما تبين له أنه عدو الله) قال : " لما مات " ، فلا أدري قاله سفيان أو قاله إسرائيل ، أو هو في الحديث " لما مات " . قلت هذا ثابت عن مجاهد أنه قال : لما مات . وقال الإمام أحمد : حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا زيد بن الحارث الياامي عن محارب بن دثار ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب ، فصلى ركعتين ، ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان ، فقام إليه عمر بن الخطاب وفداه بالأب والأم ، وقال : يا رسول الله ، ما لك ؟ قال : " إني سألت ربي ، عز وجل ، في الاستغفار لأمي ، فلم يأذن لي ، فدمعت عيني رحمة لها من النار ، وإني كنت نهيتكم عن ثلاث : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، لتذكركم زيارتها خيرا ، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث ، فكلوا وأمسكوا ما شئتم ، ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية ، فاشربوا في أي وعاء ولا تشربوا مسكرا " . وروى ابن جرير ، من حديث علقمة بن مرثد ،

عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى
رسم قبر ، فجلس إليه ، فجعل يخاطب ، ثم قام مستعبرا . فقلنا : يا رسول الله ، إنا ربنا
ما صنعت . قال : " إني استأذنت ربي في زيارة قبر أُمي ، فأذن لي ، واستأذنته في
الاستغفار لها فلم يأذن لي " . فما رأيي بأكثر من يومئذ . وقال ابن أبي حاتم ، في
تفسيره : حدثنا أبي ، حدثنا خالد بن خدّاش ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن ابن جريج
عن أيوب بن هانئ ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما إلى المقابر ، فاتبعناه ، فجاء حتى جلس إلى قبر منها ، فواجه طويلا
ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام إليه عمر بن الخطاب ، فدعاه ثم دعانا ، فقال : " ما
أبكاكم ؟ " فقلنا : بكينا لبكائك . قال : " إن القبر الذي جلست عنده قبر آمنة ، وإني
استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي " ثم أورده من وجه آخر ، ثم ذكر من حديث ابن
مسعود قريبا منه ، وفيه : " وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي ، وأنزل علي : (ما
كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى) فأخذني ما يأخذ
الولد للوالدة ، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تذكر الآخرة " . حديث آخر

في معناه : قال الطبراني : حدثنا محمد بن علي المروزي ، حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب ، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر ، فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه : أن استندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم ، فذهب فنزل على قبر أمه ، فناجى ربه طويلاً ثم إنه بكى فاشتد بكاءؤه ، وبكى هؤلاء لبكائه ، وقالوا : ما بكى نبي الله بهذا المكان إلا وقد أحدث في أمته شيء لا تطيقه . فلما بكى هؤلاء قام فرجع إليهم ، فقال : " ما يبكيكم ؟ " . قالوا : يا نبي الله ، بكينا لبكائك ، فقلنا : لعله أحدث في أمتك شيء لا تطيقه ، قال : " لا وقد كان بعضه ، ولكن نزلت على قبر أُمِّي فدعوت الله أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة ، فأبى الله أن يأذن لي ، فرحمتها وهي أُمِّي ، فبكيت ، ثم جاءني جبريل فقال : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه) فتبرأ أنت من أمك ، كما تبرأ إبراهيم من أبيه ، فرحمتها وهي أُمِّي ، ودعوت ربي أن يرفع عن أمتي أربعاً ، فرفع عنهم اثنتين ، وأبى أن يرفع عنهم اثنتين : دعوت ربي أن يرفع عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض ، وألا يلبسهم شيعاً ،

وألا يذيق بعضهم بأس بعض ، فرفع الله عنهم الرجم من السماء ، والغرق من الأرض ،
وأبى الله أن يرفع عنهم القتل والهرج " . وإنما عدل إلى قبر أمه لأنها كانت مدفونة تحت
كداء وكانت عسفان لهم . وهذا حديث غريب وسياق عجيب ، وأغرب منه وأشد نكارة
ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب " السابق واللاحق " بسند مجهول ، عن عائشة في
حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه فآمنت ثم عادت . وكذلك ما رواه السهيلي في " الروض
" بسند فيه جماعة مجهولون : أن الله أحيا له أباه وأمّه فآمنا به . وقد قال الحافظ ابن
دحية : [هذا الحديث موضوع يردده القرآن والإجماع ، قال الله تعالى : (ولا الذين
يموتون وهم كفار) [النساء : 18] . وقال أبو عبد الله القرطبي : إن مقتضى هذا
الحديث . . . ورد على ابن دحية] في هذا الاستدلال بما حاصله : أن هذه حياة جديدة ،
كما رجعت الشمس بعد غيوبتها فصلّى علي العصر ، قال الطحاوي : وهو [حديث]
ثابت ، يعني : حديث الشمس . قال القرطبي : فليس إحياءهما يتمتع عقلا ولا شرعا ، قال
: وقد سمعت أن الله أحيا عمه أبا طالب ، فآمن به . قلت : وهذا كله متوقف على صحة
الحديث ، فإذا صح فلا مانع منه والله أعلم . وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (ما

كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين (الآية ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه ، فنهاه الله عن ذلك فقال : " فإن إبراهيم خليل الله استغفر لأبيه " ، فأنزل الله : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) الآية . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في هذه الآية : كانوا يستغفرون لهم ، حتى نزلت هذه الآية ، فلما [نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ، ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا] ثم أنزل الله : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) الآية . وقال قتادة في هذه الآية : ذكر لنا أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : يا نبي الله ، إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ، ويصل الأرحام ، ويفك العاني ، ويوفي بالذمم ، أفلا نستغفر لهم ؟ قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " بلى ، والله إنني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه " . فأنزل الله : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) حتى بلغ : (الجحيم) ثم عذر الله تعالى إبراهيم ، فقال : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه) قال : وذكر لنا أن نبي الله قال : " أوحى إلي كلمات ، فدخلن في أذني ووقرن في قلبي : أمرت

ألا أستغفر لمن مات مشركا ، ومن أعطى فضل ماله فهو خير له ، ومن أمسك فهو شر له ، ولا يلوم الله على كفاف " . وقال الثوري ، عن الشيباني ، عن سعيد بن جبير قال : مات رجل يهودي وله ابن مسلم ، فلم يخرج معه ، فذكر ذلك لابن عباس فقال : فكان ينبغي له أن يمشي معه ويدفنه ، ويدعو له بالصلاح ما دام حيا ، فإذا مات وكله إلى شأنه ثم قال : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه) لم يدع . [قلت] وهذا يشهد له بالصحة ما رواه أبو داود وغيره ، عن علي بن أبي طالب قال : لما مات أبو طالب قلت : يا رسول الله ، إن عمك الشيخ الضال قد مات . قال : " اذهب فواره ولا تحدثن شيئا حتى تأتيني " . وذكر تمام الحديث . ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرت به جنازة عمه أبي طالب قال : " وصلتك رحم يا عم " . وقال عطاء بن أبي رباح : ما كنت لأدع الصلاة على أحد من أهل القبلة ، ولو كانت حبشية حبلى من الزنا ؛ لأنني لم أسمع الله حجب الصلاة إلا على المشركين ، يقول الله ، عز وجل : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) . وروى ابن جرير ، عن ابن وكيع ، عن أبيه ، عن عصمة بن زامل ، عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : رحم

الله رجلا استغفر لأبي هريرة ولأمه . قلت : ولأبيه ؟ قال : لا . قال : إن أبي مات مشركا .
وقوله : (فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه) قال ابن عباس : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه
حتى مات ، فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه . وفي رواية : لما مات تبين له أنه عدو الله
وكذا قال مجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وغيرهم ، رحمهم الله . وقال عبيد بن عمير ،
وسعيد بن جبير : إنه يتبرأ منه [في] يوم القيامة حين يلقي أباه ، وعلى وجه أبيه الغبرة
والقترة فيقول : يا إبراهيم ، إني كنت أعصيك وإني اليوم لا أعصيك . فيقول : أي ربي ،
ألم تعدني ألا تخزني يوم يبعثون ؟ فأني خزي أخزي من أبي الأبعد ؟ فيقال : انظر إلى ما
وراءك ، فإذا هو بذيخ متلطح ، أي : قد مسخ ضبعانا ، ثم يسحب بقوائمه ، ويلقى في النار
. وقوله : (إن إبراهيم لأواه حليم) قال سفيان الثوري وغير واحد ، عن عاصم بن بهدلة ،
عن زر بن حبیش ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال : الأواه : الدعاء . وكذا روي من
غير وجه ، عن ابن مسعود . وقال ابن جرير : حدثني المثنى : حدثنا الحجاج بن منهال ،
حدثنا عبد الحميد بن بهرام ، حدثنا شهر بن حوشب ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال
: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس قال رجل : يا رسول الله ، ما الأواه ؟ قال

: " المتضرع " ، قال : (إن إبراهيم لأواه حليم) ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن المبارك ، عن عبد الحميد بن بهرام ، به ، قال : المتضرع : الدعاء . وقال الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين عن أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود عن الأواه ، فقال : هو الرحيم . وبه قال مجاهد ، وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل ، والحسن البصري ، وقتادة : أنه الرحيم ، أي : بعباد الله . وقال ابن المبارك ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الأواه : الموقن بلسان الحبشة . وكذا قال العوفي ، عن ابن عباس : أنه الموقن . وكذا قال مجاهد ، والضحاك . وقال علي بن أبي طلحة ، ومجاهد ، عن ابن عباس : الأواه : المؤمن - زاد علي بن أبي طلحة عنه : المؤمن التواب . وقال العوفي عنه : هو المؤمن بلسان الحبشة . وكذا قال ابن جريج : هو المؤمن بلسان الحبشة . وقال أحمد : حدثنا موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن علي بن رباح ، عن عقبة بن عامر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له " ذو البجادين " : " إنه أواه " ، وذلك أنه رجل كثير الذكر الله في القرآن ويرفع صوته في الدعاء . ورواه ابن جريج . وقال سعيد بن جبير ، والشعبي : الأواه : المسبح . وقال ابن وهب ، عن معاوية بن صالح

، عن أبي الزاهرية ، عن جبير بن نفير ، عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه ، قال : لا يحافظ على سبحة الضحى إلا أواه . وقال شفي بن مائع ، عن أيوب : الأواه : الذي إذا ذكر خطاياہ استغفر منها . وعن مجاهد : الأواه : الحفيظ الوجل ، يذنب الذنب سرا ، ثم يتوب منه سرا . ذكر ذلك كله ابن أبي حاتم ، رحمه الله . وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا المحاربي ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن الحسن بن مسلم بن يناق : أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : " إنه أواه " . وقال أيضا حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن يمان ، حدثنا المنهال بن خليفة ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عطاء ، عن ابن عباس ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم دفن ميتا ، فقال : " رحمك الله إن كنت لأواها " ! يعني : تلاء للقرآن وقال شعبة ، عن أبي يونس الباهلي قال : سمعت رجلا بمكة - وكان أصله روميا ، وكان قاصا - يحدث عن أبي ذر قال : كان رجل يطوف بالبيت الحرام ويقول في دعائه : " أوه أوه " ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنه أواه . قال : فخرجت ذات ليلة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح . هذا حديث غريب رواه ابن جرير

ومشاه .وروي عن كعب الأحبار أنه قال : (إن إبراهيم لأواه) قال : كان إذا ذكر النار

قال : " أوه من النار " .وقال ابن جريج عن ابن عباس : (إن إبراهيم لأواه) قال : فقيه

.قال الإمام العلم أبو جعفر بن جرير : وأولى الأقوال قول من قال : إنه الدعاء ، وهو

المناسب للسياق ، وذلك أن الله تعالى لما ذكر أن إبراهيم إنما استغفر لأبيه عن موعدة

وعدها إياه ، وقد كان إبراهيم كثير الدعاء حليما عمن ظلمه وأناله مكروها ؛ ولهذا

استغفر لأبيه مع شدة أذاه في قوله : (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته

لأرجمنك واهجرني مليا . قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا) [مريم :

46 ، 47] ، فحلم عنه مع أذاه له ، ودعا له واستغفر ؛ ولهذا قال تعالى : (إن إبراهيم

لأواه حليم)